المهدوية ودورها في قيام دولة الموحدين

م.د. صالح أحمد صالح
قسم التاريخ
كلية الآداب / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/٩/٢٧ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١١/١٢/٢٩

ملخص البحث:

يعد محمد بن تومرت من رجال العلم المشهورين، ومن المصلحين المعدودين في العالم الاسلامي في القرون الوسطى، اذ عكف على دراسة العلوم الشرعية بمختلف فروعها، ورحل في سبيل ذلك من بلاده ــ المغرب ــ الى المشرق، وامضى بضع سنوات في هذه الرحلة، التقى خلالها عدداً من كبار العلماء المسلمين ودرس على ايديهم، ثم رجع الى بلاده وأعلن الثورة على الاوضاع المتردية التي كانت تعيشها بلاد المغرب آنذاك، فاعلن حربا على الانحلال الخلقي وانتشار بيع الخمور، وكسّر آلات الطرب، كما وقف بوجه الظلم والجهل، وحث الناس على دراسة العلوم الشرعية ولا سيما علم اصول الدين ، وقد اصابت جهوده قدرا كبيراً من النجاح واستجاب لدعوته الكثير، وتمكن أتباعه من بعده من تاسيس دولة سميت بدولة الموحدين، نسبة الى التوحيد الذي زرعه في نفوس أصحابه وحثهم على التمسك به .

AL-Mahdawya and its Role in the Establishment of AL-Muwahidin State

Lect. Dr. Saleh Ahmed Saleh
Department of History
College of Arts / Mosul University

Abstract:

Muhammed bin Tumart is a well-known muslim scholar. He is one of a few reformers in the Islamic world in medieval. He kept on studying the various lorauehes of Islamic jurisprudence and for the sake of his study, he traveled from his country Morroco to the East spending several years. He met in this journey a number of prominent muslim scholars from whom he received his education. When he come back to his country, Tumart revolted against the moral deterioration experienced in Morroco at that time, banned wine trafficking and obscene singing. He fought as well against the tyranny and wide spread ignorance,

encouraging the study of religious sciences especially Jurisprudence. After all these painstaking efforts, Tumart managed to realize his aim. His followers however, managed, after his death , to establish the state of Al-Muwahidin - the monotheists - whose name is derived from al-Tawhid – Monotheism – which Ibn Tumart instilled in his followers and urged them to adhere to.

المقدمة:

المهدوية نسبة الى المهدي، والمهديُّ: الذي هداه الله الى الحق، وبه سمي المهدي الذي بشر به النبي ﷺ انه يجيء في آخر الزمان(١)، واهتدى : أقام على الايمان ، وهديته الطريق أي عرّفته(٢).

ولم يتطرق القرآن الكريم لذكر المهدي وما يتعلق به لا من قريب ولا من بعيد، وكذلك خلا كل من الصحيحين البخاري ومسلم من ذكر الاحاديث المتعلقة بالمهدي المنتظر، وعلى الرغم من ذلك فقد ورد ذكر المهدي في بعض كتب السنن وبأحاديث صحيحة، من ذلك قول الرسول ﷺ "يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ... لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي"(٣)، وكذلك قول الرسول ﷺ "...فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي"(٤).

وفاض الحديث في موضوع المهدي الذي كثر نقاش المسلمين فيه، ونُسب للرسول ﷺ احاديث كثيرة صورت فيه على وجه الدقة الصفات الشخصية التي يتصف بها المهدي الذي سيأتي في آخر الزمان، على انها لم تجد في الحقيقة منفذا تتسرب منه الى مصنفات الحديث الصحيحة المعتبرة والمعتمدة في ضبط الرواية، ولكن اخرجتها الكتب الاخرى التي كانت اقل انضباطا لضوابط الحديث الصحيح(٥)، ومن الاحاديث الضعيفة والموضوعة على سبيل المثال لا الحصر التي ذكرتها بعض الكتب والمنسوبة الى الرسول محمد ﷺ الحديث الموضوع الذي رواه جابر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: "من انكر خروج المهدي فقد كفر بما انزل على محمد... ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر بما انزل على محمد.."(٦)، وغير ذلك الكثير من الاحاديث الضعيفة والموضوعة الخاصة بالمهدي.

محمد بن تومرت " مهدي الموحدين"

هو أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن تومرت ولد في يوم عاشوراء سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)(٧)، بضيعة تعرف بايجلي وهي تابعة لجبل السوس(٨)، واما عن لقبه تومرت فيذكر أن أمه فرحت بمولده كثيرا، وكانت كلما سؤلت عنه اجابت بلسانها البربري "يك تومرت" ومعناه "صار فرحا" فغلب عليه ذلك اللقب(٩).

اختلف المؤرخون في نسب ابن تومرت فعده البعض من اصل عربـــي ومـــن آل البيــت، وتحديدا من نسل الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم، ونسبه آخرون الـــى قبيلـــة مصمودة البربرية وهي احدى قبـــائل البربر المشهورة في بـــــلاد المغرب(١٠) ، وفـــي الحقيقـــة إن ابن تومرت بربري لحما ودمـــا، لانه ينتمي الى قبيلة هرغة، وهي بطن مـــن قبيلة مصمودة احدى قبائل البربر، كما اثبت ذلك رجال الأنساب(١١)، وقد دعي في كثير من المصادر بالهرغي، لكنه اختلق لنفسه نسبا عربيا يعود به الى آل البيت ليعتمد على هذا النسب في ادعائه المهدية، ولكي تؤيده الاحاديث الموضـــوعة التـــي لا تنـــصر الا مهـــديا مـــن آل البيت(١٢)، كذلك لكسب قلوب العامة وتأييد الناس وذلك للمكانة العالية التي يحتلها آل البيـــت في قلوب عامة المسلمين، والتأييد الكبير الذي يحضى به كل من يدعي هذا النسب الشريف.

كان ابن تومرت "اسمـــــر اللون حسن القد رقيق البشرة ، افلج اقنا غائر العينين، خفيف العـــــارضين، له شامة سوداء في خده الايمن، ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم"(١٣)، نشأ محمد بن تومرت محبا للعلم وقلبه معلق بالمساجد، كثير الملازمة لها، قال عنه ابن خلدون "وكان اهل بيته اهل نسك ورباط وشب محمد هذا قارئا محبا للعلم وكان يـــسمى ــ باللـــسان البربري ــ اسافو ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها"(١٤).

رحلته في طلب العلم

إن اهم ما كان يميز طالب العلم هو الرحلة في طلب العلم، فلم يكتف طالب العلم فـــي أي بلد بعلماء وشيوخ بلده وانما كان يشد الرحال الى أي بلد من بلاد العالم الاسلامي يسمع ان فيها عالما او فقيها او محدثا لينهل العلم من منابعه الصافية، وكان هذا شان محمد بن تومرت الذي دفعته الرغبة في طلب المزيد من العلم الى السفر الى الاندلس فدخل قرطبة واخـــذ مـــن علمائها، ثم ركب البحر متجها الى المـــشرق حـــوالي ســـنة (٥٠١هــــ / ١١٠٧م) فنـــزل بالاسكندرية ودرس على الشيخ ابي بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هــ/١١٢٦م) ثم نزل في مكـــة فحج ثم توجه الى العراق فلقي كبار العلماء مثل الكيا الهراسي (ت٥٠٤هــ/١١١٠م) وغيـــره فدرس عليهم مذهب الاشاعرة وكذلك درس علوم اصول الـــدين واصـــول الفقـــه والحـــديث وغيرها(١٥).

ذكرت بعض المصادر ان ابن تومرت كان قد التقـــى بالامـــام الغزالـــي (ت٥٠٥هـــــ/ ١١١١م) في بغداد واستشاره فيما يريده من تاسيس دولة في المغرب(١٦)، والصحيح ان ابن تومرت لم يلتق بالامام الغزالي ولم يشاهده مطلقا لان الغزالي كان آنذاك في ازمته الروحيـــة وكان قد ترك التدريس وخرج من بغداد(١٧)، ولكن ابن تومرت كان قد تاثر بتعاليم الغزالـــي في علم الكلام بشكل خاص مبينا كثيرا من آراء الاشاعرة متحمسا لطريقتهم فـــي الانتـــصار

للعقائد الدينية بالحجج العقلية وفي تاويل المتشابهات وانه برحلته هذه قد استكمل مرحلة طلب العلم(١٨).

ويبدو ان ابن تومرت رأى في رحلته هذه ما لا يسره من أمور المسلمين من الانقسام وضعف الدول الحاكمة وما" كان فيه الاسلام يومئذ باقطار الارض من اختلال الدولة وتقويض اركان السلطان الجامع للامة المقيم للملة"(١٩)، كما شاهد نجاح الصليبيين في تأسيس امارات لهم في الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس وعدم وقوف كل من الخلافة العباسية في بغداد والدولة الفاطمية في مصر بوجه هذا الاحتلال، فانبرى يهاجم الاوضاع السائدة ويصر على اقامة خلافة اسلامية تضم العالم الاسلامي كله(٢٠).

تدريسه للعلوم الشرعية

بعد هذه الرحلة الطويلة عاد محمد بن تومرت الى بلاد المغرب وكان قد حصل على الكثير من العلوم من خلال دراسته على كبار العلماء في المشرق الاسلامي، حتى وصفه ابن خلدون بعد عودته الى بلاده بانه " بحر متفجرا من العلم وشهاب واربا من الدين"(٢١)، وفي طريق عودته بدأ ابن تومرت بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك مباشرة بعد ان ركب السفينة من الاسكندرية متوجها الى مدينة المهدية وذلك سنة (٥٠٥هـ/١١١١م) فنزل في مسجدها وحث الناس على اقامة الصلاة وقراءة القران وكان زاهدا ورعا ليس معه سوى عصا وركوة(٢٢)، فالتف حوله الناس يدرسون على يديه العلوم الشرعية، واستمر في رحلته من مدينة الى اخرى يحارب البدع ويحطم آلات اللهو ويغير المنكرات ويدرس طلبة العلم مارا بالكثير من المدن منها تونس وقسنطينة وبجاية وملالة وتلمسان وفاس ومكناسة وسلا وغيرها، وكان ايضا يقوم ببناء المساجد في بعض هذه المدن التي اخرجه الولاة في قسم منها بالقوة لانه استخدم العنف والشدة في تغيير المنكرات(٢٣).

وفي مدينة ملالة التقى محمد بن تومرت بشخصية فذة كان لها دور كبير في قيام دولة الموحدين فيما بعد، ذلك هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى الكومي، من قبيلة كومية احد فروع قبيلة زناتة البربرية، ولد سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) في مدينة تاجرة من اعمال تلمسان ــ الجزائر الحالية ــ كان ابوه فقيرا يشتغل بعمل الاواني الفخارية، درس عبد المؤمن العلوم الشرعية في المساجد وحفظ القران الكريم(٢٤).

كان عبد المؤمن في طريقه الى بلاد المشرق الاسلامي للتزود من العلوم الشرعية وعندما التقى بمحمد بن تومرت اقنعه الأخير بالبقاء وانه مستعد لالقاء الدروس عليه وفي العلوم الشرعية كافة ، ثم اباح ابن تومرت لعبد المؤمن بسره وبما كان يجول في خاطره من تأسيس او انشاء دولة اسلامية في بلاد المغرب(٢٥).

ونحن نعتقد ان فكرة تاسيس دولة اسلامية كانت في مخيلة ابن تومرت قبل ان يخرج في رحلته العلمية وانما كان خروجه لغرض التزود بالعلوم الشرعية ليكون اكثر قدرة على اقناع الناس باتباعه وتحقيق مراده، بدليل انه عندما عاد الى بلاد المغرب لم يتفرغ للدعوة وتدريس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فحسب، وانما تصدى للدولة القائمة آنذاك – دولة المرابطين - وبدأ يكيل لها التهم ولفقهائها الذين كان امير المسلمين المرابطي يعتمد عليهم ولا يقطع امرا دونهم وينعتها بمختلف النعوت، التي كان قسم منها مخرجا من الملة، كما ادعى انه المهدي المنتظر بعد ان ادعى لنفسه نسبا علويا، وذلك لدعم سلطته وتحقيق مراده.

واصل ابن تومرت القاء الدروس والمواعظ على طلبة العلم وهو يتنقل من مدينة الى اخرى حتى وصل الى مدينة مراكش سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) فنزل في مسجد صومعة الطوب فالتف حوله عدد كبير من الطلبة والمريدين، وكلما انتهى من القاء الدروس سار باتباعه في احياء المدينة واسواقها داعيا الى المعروف ناهيا عن المنكر(٢٦)، ولم يعجب ذلك فقهاء دولة المرابطين –الذين كانوا على مذهب الامام مالك- فاخذوا يتحينون الفرصة للايقاع به، وقد واتتهم الفرصة عندما اعترض ابن تومرت موكب اخت امير المسلمين واساء لها مع جواريها لانها لم تستر وجهها، وكانت تلك من عادة المرابطين، فشكت الى اخيها ما حل بها وحرض القضاة والفقهاء امير المسلمين علي بن يوسف على ابن تومرت لكن الامير لم يعاقبه على فعلته وانما عقد مجلسا علميا للمناظرة بين فقهاء المرابطين وابن تومرت ليختبر علمه فتمكن ابن تومرت من افحامهم جميعا والانتصار عليهم وذلك لاتقانه علم الاصول والجدل الذي كان منبوذا لدى فقهاء المرابطين، ولم يفهم كلامه سوى الوزير والقاضي مالك بن وهيب الذي كان قد درس الفلسفة في الاندلس والذي اشار على امير المسلمين بان يقتل ابن تومرت او يودعه السجن لانه ادرك ابعاد كلام ابن تومرت ولكن الامير لم يسمع له واطلق سراحه، لان الاخير كان قد وعظ الامير وخوفه بالله سبحانه وتعالى، فخرج من مراكش وتوجه الى مدينة اغمات، ثم توجه الى جبال المصامدة ومنها الى بلاد السوس موطن اهله وقبيلته هرغة واخذ يدعو القبائل ويجمع الاتباع(٢٧).

ابتعد ابن تومرت عن قبضة المرابطين الا انه لم يامن بطشهم لذلك نزل سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م) في جبل ايجليز الحصين وزاد في تحصين المكان، ثم اخذ يدعو انصاره الى التوحيد والى قتال المرابطين(٢٨)، مستغلا بعض الاخطاء التي وقع فيها فقهاء المرابطين فشن عليهم حربا شعواء، ومن تلك الاخطاء اغفالهم الاشتغال بالقران الكريم والسنة النبوية واشتغالهم عنها بالفروع، ولم يكونوا في ذلك على علم بشيء من علوم الدين سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية، يقول المراكشي "ولم يكن يقرب من امير المسلمين ويحضى عنده الا من علم الفروع، فانتشرت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها،

وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله ﷺ فلم يكن احد من مشاهير اهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء"(٢٩)، ونتيجة لذلك فقد جهل هؤلاء الفقهاء علم اصول الفقه الذي بمقتضاه تستنبط الاحكام الشرعية التي تلائم القضايا التي تعرض لهم، مما ادى الى شيوع التقليد دون الاجتهاد وربما الى الخطأ في الفتيا(٣٠).

فقد نبذوا علم الكلام وعدّوا ذلك بدعة في الدين مما حدا بهم الى الابتعاد عن الرأي والتأويل مدعين انهم مقتدون بالسلف الصالح وبالامام مالك في قبول النصوص على علاتها واقرار المتشابهات كما جاءت ملتزمين بالنص الحرفي او التفسير الظاهر للايات الخبرية مما افضى بهم الى التجسيم والتشبيه، وكان ذلك من اشد ما اخذه عليهم ابن تومرت حتى رماهم بالكفر على التجسيم(٣١).

فكرة المهدي عند ابن تومرت

ثم قدم ابن تومرت على خطوة هي اجرأ من سابقاتها، فقد استغل محبة اتباعه له وتعلقهم به وسعة علمه، وحدثهم عن المهدي المنتظر ذاكرا صفاته حتى شوّقهم اليه، فجعلهم يتمنون رؤيته ثم اخبرهم بان النبي ﷺ بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وانه سيخرج من المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال وهم خاصته فبايعوه على انه المهدي وذلك سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م)(٣٢)، وليثبت لهم صحة ادعائه هذا فقد اصطنع لنفسه نسبا يعلو به الى الامام علي بن ابي طالب رضي الله عن٣٣ ، قال الذهبي "جره اقدامه وجرأته الى حب الرياسة والظهور، وارتكاب المحظور، ودعوى الكذب والزور من انه حسني وهو هرغي بربري، وانه امام معصوم، وهو بالاجماع مخصوم"(٣٤).

وجمع محمد بن تومرت حوله عدداً من الرجال وهم عشرة فجعلهم خاصته وبطانته ومستشاريه، وكانوا من اخلص الناس له وهم الذين درسوا على يديه، وهم كل من: عبد المؤمن بن علي، وعبد الله البشير الونشريسي(٣٥)، وابي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي، وابي حفص عمر بن علي اصناك، وسليمان بن مخلوف، وابراهيم بن اسماعيل الهزرجي، وابي محمد عبد الواحد الحضري، وابي عمران موسى بن تمارى، وابي عثمان بن يخلف، وابي يحيى بن يجيت(٣٦).

ونعتقد ان ابن تومرت حتى في اختياره لهؤلاء العشرة من اصحابه حاول الاقتداء والتشبه بالنبي ﷺ عندما بشر عشرة من اصحابه وهم الذين عرفوا بين الناس بالعشرة المبشرين بالجنة، وليس من المستبعد ان يكون محمد بن تومرت قد بشر اصحابه بالجنة اسوة باصحاب النبي محمد ﷺ ، وذلك لانه سمى اصحابه المؤمنين واختلق لهم الاحاديث المنسوبة الى النبي محمد ﷺ والتي تثبت مزاعمه ومن ذلك قوله لاصحابه ذات يوم "ما على وجه

الارض من يؤمن ايمانكم، وانتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام (لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امــر الله)"(٣٧)، ولمــا كملــت البيعة لابن تومرت لقبوه بالمهدي وكان قبلها يلقب بالامام(٣٨).

وبما انه اطلق على اصحابه تسمية المؤمنين فقد اتخذ اميرهم لقب "امير المؤمنين" وعرفوا بالموحدين كذلك لانهم اول من تحدث بالتوحيد وعلم الكلام بالمغرب، لان ذلك كــان محرمــا على المغاربة في عهد المرابطين(٣٩).

بعد ان اشتهر محمد بن تومرت وذاع صيته التف حوله الناس واقبلت اليه الوفــود مــن مختلف قبائل المغرب ومنها قبيلة هنتاتة القوية، فبايعوه واعلنوا الطاعة والولاء له، وكان من ضمن الوفود التي حضرت بين يديه وفد من اهل جبل تين ملّــل(٤٠) ، الحــصين، فبــايعوه وطلبوا منه الحضور اليهم، فتوجه الى تين ملل واقام فيه وفرض على اتباعــه التــأدب مــع بعضهم البعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن، ثــم حرضــهم علــى قتــال المرابطين(٤١).

وفي رواية اخرى ان ابن تومرت بعد ان اعلن انه المهدي خشي على نفسه من المرابطين فبحث عن مكان آمن فارشده احد اصحابه وهو الفقيه عبد الحق بن ابراهيم المصمودي الــى تين ملل فاجتمع حوله الكثير من اهالي الجبل ورحبوا به، ثم بدأ ابن تومرت بعرض مبتغــاه على كل شخص فان اجابه اضافه الى اتباعه وان خالفه اعرض عنه فكثر اتباعه، وكان يركز على استمالة الشباب ويحاول كسب اكبر عدد منهم الى جانبه(٤٢).

استقر محمد بن تومرت في جبل تين ملل وبنى له مسجدا خارج المدينة كان يصلي فيه هو واصحابه، وعلى ما يبدو انه لم يكن مطمئنا لاهالي الجبل وكان يخشى من عودتهم الى طاعة امير المسلمين، ولذلك اقدم على قتل عدد من مماليك امير المسلمين الفرنج الذين كانوا يقومون بجباية الاموال سنويا وياخذونها الى مراكش عاصمة دولة المرابطين، وقام ابن تومرت بقتــل هؤلاء المماليك بحجة انهم يعتدون على الاهالي رجالا ونساء عندما يــأتون لأخــذ الأمــوال المقررة لأمير المسلمين(٤٣).

وبذلك يكون محمد بن تومرت قد أعلن الحرب على المرابطين، وكرد فعل على ذلك أرسل أمير المسلمين جيشا من المرابطين فحاصروا أهالي الجبل وضيقوا عليهم حتى قــل عنــدهم الطعام، ويصف لنا ابن الاثير حالة أهالي الجبل بقوله "حتى صار الخبز معدوما عندهم، وكان يطبخ لهم كل يوم من الحساء ما يكفيهم، فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يــده فــي ذلــك الحساء ويخرجها، فما علق عليها قنع به ذلك اليوم"(٤٤)، وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن جيش المرابطين من تحقيق النصر بسبب ضيق الطريق ووعورة الجبل وتصدي الاهالي لهم برمــي الاحجار عليهم من فوق الجبل فعاد الجيش الى مراكش دون تحقيق اهدافه(٤٥).

وعلى اثر تلك الحادثة اجتمع اعيان اهل جبل تين ملل وقرروا اصلاح الامـر مـع امير المسلمين وذلك سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) فعلم محمد بن تومرت بالامر، عندها بدأ باستعمال الحيلة لمنع الاهالي من الرجوع الى طاعة المرابطين، فاتفق مع احد اصحابه وهو ابو عبد الله الونشريشي على ان يخرج الاخير على الناس بشكل مفاجئ ويخبرهم بان الله تعالى قد اعطاه نورا يعرف به اهل الجنة من اهل النار، ثم قام محمد بن تومرت بعرض اتباعه جميعا علـى هذا الرجل لتمييزهم وهو ما عرف عند المؤرخين بالعرض او التمييز، ثم بدأ الونشريشي بابن تومرت واخبره بانه المهدي القائم بامر الله ومن تبعه سعد ومن خالفـه هلـك بعـدها عـاد الونشريشي الى الناس مستعرضا اياهم فكان "يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته، فيقول: هذا من اهل النار فيلقى من الجبل مقتولا، والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا مـن اهـل الجنة فيترك على يمينه... فلما فرغ من ذلك امن على نفسه _ أي ابن تومرت _ واصـحابه واستقام امره"(٤٦).

لم يدع محمد بن تومرت هذه الحادثة تمر هكذا بشكل طبيعي لانه علم ان من قتل له اب او ابن او اخ في هذه الحادثة سوف لن ينسى ذلك، وسوف تتحرك في قلوبهم يوما ما الحمية للثار لذويهم "فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم، واغتنام اموالهم، فسرهم ذلك وسلاهم عن اهلهم"(٤٧).

ولم تكن تلك الحادثة لتمر بسلام لولا طاعة المصامدة العمياء لابن تومرت حتى اصـبحوا رهن امره، يقول المراكشي "لم تزل طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر، وفتنـتهم بـه تـشتد وتعظيمهم له يتاكد الى ان بلغوا في ذلك الى حد لو امر احدهم بقتل ابيه او اخيه او ابنه لبادر الى ذلك من غير ابطاء، واعانهم على ذلك وهونهم عليهم ما في طباعهم من خفة سفك الدماء عليهم، وهذا امر جبلت عليه فطرهم واقتضاه ميل اقليمهم"(٤٨).

واستغل ابن تومرت الظروف المحيطة به لنشر دعوته، فلم تكن طاعة اتباعـه لـه هـي السبب الوحيد لتقوية نفوذه وانما ايضا استفاد من بعض الاخطاء التي وقع فيهـا المرابطـون، ومنها انتشار الخمر وبيعها وسفور نساء المرابطين وانتشار آلات الطرب في اواخـر عهـد المرابطين، وكذلك استبداد فقهاء المالكية وسيطرتهم على امير المسلمين ونبذهم لعلم الاصول والقران والحديث والتركيز على الفروع مما ادى الى جمود فكري كبير(٤٩)، وفـي الجانـب السياسي ايضا نجد ان امراء المرابطين كانوا على درجة من الضعف مما سمح لابن تومرت بنشر دعوته وكسب اعداد كبيرة من الناس الى جانبه(٥٠)، فدور المهدي في إعداد الدولة دور روحي في شكله، ولكنه سياسي في جوهره، والواقع ان الدول التي تعاقبت على المغرب منـذ الادارسة قد اتخذت هذه الصفة في نشأتها وما تكاد اقدام الدولة تتمركز حتى يضعف الجانـب الديني في اتجاه الدولة لحساب الجاني السياسي والمادي(٥١).

فضلاً عن ذلك فقد كانت بلاد المغرب مكانا صالحا وارضا خصبة لكل دعوة خارجه على مركز الخلافة، ذلك ان المغرب تقطنه قبائل متعددة تعيش عيش الفطرة والبداوة، تنتقل من مكان الى آخر طلبا للكلأ والمرعى، وقد حبتهم ارض الصحراء التي يعيشون عليها طبيعة تميل الى الحرية، ولذلك لا عجب ان نجد هؤلاء البدو يعاضدون كل حركة تناوئ حكومة الخلافة(٥٢)، هذا اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان دولة المرابطين كانت موالية للخلافة العباسية ولو بشكل اسمي ويتجلى ذلك بذكر اسم الخليفة العباسي على منابرها والدعاء له.

ركز محمد بن تومرت اهتمامه على الجانب العلمي، والزم اتباعة بدراسة العلوم الشرعية ولم يتهاون في ذلك، وكان على مذهب الاشاعرة في تاويل المتشابه من الايات القرانية والاحاديث النبوية، إذ درس هذا المذهب على ائمة الاشاعرة في المشرق في اثناء رحلته العلمية –كما مر ذكره- واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية(٥٣)، كما اخذ عن المعتزلة بعض آرائهم مثل القول بنفي الصفات عن الله تعالى، وكذلك القول بان الله تعالى قد اعطى لعباده ارادة تمكنهم من فعل الحسن والقبيح باختيارهم(٥٤).

فضلاً عن ذلك فقد مزج ابن تومرت دعوته ببعض ما قال به الفقيه الاندلسي ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)(٥٥)، وخاصة الجانب الفقهي الذي يرى فيه ابن حزم عدم التقيد باراء مذهب من المذاهب الاربعة المعروفة وهو ما يسمى بالتقليد الذي حاربه ابن حزم واعتبر ان كل انسان حر في ان يحّكم فكره فيما يراه مناسبا شريطة ان يستند في ذلك على ما جاء به القران الكريم او السنة الشريفة او اجماع الصحابة، وهو ما استفاد منه ابن تومرت في الوقوف بوجه فقهاء المالكية الذين سيطروا على زمام الامور في دولة المرابطين(٥٦).

وخلاصة الامر فان محمد بن تومرت اراد ان يضمن لدعوته النجاح، فجعلها مزيجا من هذه التيارات والافكار الفقهية والاعتقادية المختلفة التي كانت معروفة في المغرب، ولكنها كانت في معظمها ممنوعة من الظهور ومحرمة على الناس، فاحياؤه لها مجتمعة في دعوة اصلاحية جديدة يعد حركة من حركات التجديد في الاسلام(٥٧)، لذلك فإن ابن تومرت كان يرى انه معد لتحمل رسالة المهدوية حتى ينقذ الناس من الضلال ويرجعهم الى الاسلام الصحيح، فاعلن منذ البداية انه المهدي المنتظر وكفر من لم يؤمن بعصمته(٥٨).

مؤلفاته:

مارس ابن تومرت التدريس بنفسه فكان يلقي المحاضرات والدروس والخطب على اتباعه ويلزمهم بكثرة الدراسة والمتابعة والحفظ، ومن الجدير بالذكر ان ابن تومرت لم يكتف بالتدريس بل الف لأتباعه عدداً من المؤلفات باللغتين العربية والبربرية – اذ كان يتقن اللغتين

جيدا - ومن تلك المؤلفات كتاب " المرشدة " وهو في التوحيد على مذهب الأشاعرة ويحتوي على معرفة الله تعالى وسائر العقائد، كالعلم بحقيقة القضاء والقدر وما يجب على المسلم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك(٥٩)، وجعل ابن تومرت كتابه هذا سبعة احزاب على عدد ايام الاسبوع، ثم امر اتباعه بقراءة حزب واحد كل يوم بعد صلاة الفجر والمغرب، وجعل عقوبة الجلد بالسياط لكل من لم يحفظ حزبه او درسه، وان تمادى في ذلك فعقوبته القتل(٦٠).

ومن مؤلفات ابن تومرت الاخرى كتاب "اعز ما يطلب" رواه عنه تلميذه وخليفته عبد المؤمن بن علي، نشر هذا الكتاب المستشرق لوسياني في الجزائر عام (١٩٠٣م) وهو ايضا لا يخرج عن تعاليم الاشعرية،(٦١). وكتاب "القواعد" واخر بعنوان "الامامة" وكتاب اخر سماه "موطأ المهدي" يشمل الاحاديث النبوية التي وردت في موطأ الامام مالك (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) بعد حذف معظم الاسناد منها للاختصار، ويدل ذلك على ان ابن تومرت لم يكن يهدف الى مهاجمة مذهب الامام مالك بحد ذاته، انما اراد مواجهة نفوذ فقهاء المالكية(٦٢)، وقد ترك ابن تومرت ايضا رسالة قصيرة بعنوان "عقيدة ابن تومرت" نشرت بالقاهرة عام (١٩١٠م) ولم يكن فيها مبتكرا او مجتهدا بل كان من هذه الناحية مقلدا لا شخصية له(٦٣).

قتال المرابطين:

من الملاحظ ان ابن تومرت قد اتخذ التدريس وسيلة لجمع الانصار والمريدين، كما اتخذ الجدل والمناظرة وسيلة لاقناع الخصوم، ثم اتخذ القتال وسيلة لتمكين الدعوة واقامة الدولة(٦٤).

إذ رتب ابن تومرت اتباعه ومريديه على مراتب أو طبقات، فالطبقة الاولى هي طبقة العشرة وتضم العشرة الذين كانوا اول من بايعه فجعلهم اهل مشورته، وهي طبقة عبد المؤمن واصحابه –كما مر ذكره- ثم طبقة الخمسين وتضم خمسين رجلا من زعماء قبائل المصامدة، ثم طبقة السبعين وتضم سبعين رجلا من زعماء القبائل غير المصامدة(٦٥)، وقد ذكر بعض المؤرخين ان هذه الطبقات تصل الى اربع عشرة طبقة(٦٦)، لكن الطبقات الثلاث الاولى هي الطبقات المهمة والمعول عليها في قيادة الدولة، وجعل ابن تومرت لكل طبقة من هذه الطبقات وظيفة خاصة بها في السلم والحرب، كما جعل لها رتبة لا تتعداها في سفر ولا حضر، ثم انذر بعقوبة القتل كل من تهاون في طاعة اوامره وجعل العقوبة نفسها لكل من يداهن عن إبنه او اخيه او ابيه او قريبه(٦٧).

فدعوة ابن تومرت لم تلق لحد هذه المرحلة القبول التام بين ابناء القبائل، فعلى الرغم من انها وجدت الحشود الكبيرة من المؤيدين الا انه كان هناك اعداد اخرى لم تؤيد الدعوة بعد، او

انها كانت لاتزال تدين بالولاء لدولة المرابطين الحاكمة انذاك، يقول ابن عذاري "وقامت الفتنة بين قبائل المصامدة يقاتل الرجل اباه واخاه في داره اذا تخلف عن اتباع المهدي ويكفر بعضهم بعضا، اما مصامدة الجبل فاتبعوه اجمعون واما مصامدة الفحص فقليل"(٦٨).

وقبل بدء المعارك بين المرابطين والموحدين بدأت الحرب الاعلامية –ان صح التعبير- فبعد فوات الاوان ادرك المرابطون خطورة دعوة ابن تومرت، فعملوا على تشويه سمعته والتشهير بانصاره للحيلولة دون انضمام بقية قبائل بلاد السوس اليهم، ولذلك اتهم المرابطون الموحدين بانهم خوارج ورد هؤلاء على المرابطين واعتبروهم مجسمة، فكفر كل طرف الطرف الآخر لينفر الناس عنه(٦٩).

ثم بدأ محمد بن تومرت بارسال السرايا الى اطراف البلاد لاخضاع القبائل التي لا تدين له بالطاعة، وكان الموحدون كلما رأوا جيشا للمرابطين تعلقوا بالجبال وتحصنوا بها فامنوا، ثم ارسل ابن تومرت جيشا بقيادة ابي عبدالله الونشريشي الى جبال اغمات وبها قوة للمرابطين، التقى الفريقان عندها وتقاتلوا فانهزم الموحدون وعادوا الى ابن تومرت فاستقبلهم الاخير ووعظهم وشكرهم على صبرهم(٧٠).

وفي محاولة لضرب المرابطين في عقر دارهم استجمع ابن تومرت قوته وجهز في سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) جيشا كبيرا بقيادة أبي عبد الله الونشريشي يساعده عبد المؤمن بن علي، وقد بلغ تعداد الجيش حوالي اربعين الفا من الرجالة ونحو اربعمائة فارس، فتوجهوا الى مراكش وحاصروها وضيقوا عليها وكان فيها امير المسلمين علي بن يوسف، فاستنجد الاخير بوالي سجلماسة وغيره من ولاته في بلاد المغرب فامدوه بالجيوش، وعند وصول تلك الجيوش الى مراكش خرج المرابطون من المدينة وبدأ القتال بينهم وبين الموحدين واشتدت المعركة فدارت الدائرة على الموحدين وقتل عدد كبير منهم وكان من بين القتلى ابو عبد الله الونشريشي قائد الجيش(٧١)، ثم تولى عبد المؤمن بن علي قيادة الجيش واستمر القتال الى الليل فتمكن عبد المؤمن من سحب الجيش وتسلل في جنح الظلام عائدا الى تينملل، وكان محمد بن تومرت بانتظارهم وكان مريضا، فلما سمع بخبر الهزيمة اشتد مرضه، فسأل عن عبد المؤمن فاخبروه بانه لم يقتل فقال "ما مات احد، الامر قائم، وهو الذي يفتح البلاد، ووصى اصحابه باتباعه وتقديمه، وتسليم الامر اليه، والانقياد له، ولقبه امير المؤمنين"(٧٢).

وفي شهر رمضان سنة (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) توفى المهدي محمد بن تومرت، وكان عمره حوالي احدى وخمسين سنة، ودفن في جبل تينملل مقر دعوته(٧٣).

مات اذن مهدي الموحدين ولم يفتح بلدا واحدا من المغرب، الا ان تعاليمه قد رسخت في قلوب اتباعه حتى اصبح النصر مضمونا للدعوة الموحدية التي هيأها المهدي تهيؤاً روحيا، في حين اتم عبد المؤمن اعدادها سياسيا وحربيا(٧٤).

صفاته:

امتلك محمد بن تومرت كثيراً من صفات القيادة فقد كان على درجة كبيرة من الذكاء والفطنة متبحرا بالعلوم الشرعية، حتى وصفه ابن ابي زرع بانه كان "عالما فقيها راويا لحديث النبي" ﷺ " حافظا له، عارفا بالاصول، عالما في علم الاعتقاد والجدل، فصيح اللسان، مقداما على الامور العظام، سفاكا للدماء، غير متورع فيها ولا متوقف عنها ، يهون عليه سفك دم عالم من الناس في هوى نفسه وبلوغ غرضه، وكان مع ذلك متيقظا في احواله، ضابطا لما ولي من سلطانه، شرع واسرع ومهد الملك لغيره بالخدع، ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم وتحيل الى جهال المصامدة حتى بايعوه، وعلمهم توحيدا بلغتهم، فانه كان رجلا منهم والتوحيد بايديهم الى الان، واعلمهم انه الامام المهدي القائم على كمال الخمسمئة سنة"(٧٥).

وقال عنه ابن خلكان نقلا عن صاحب كتاب "المغرب في اخبار اهل المغرب بقوله :"

آثاره تنبيك عن اخباره   حتى كأنك بالعيان تراه

له قدم في الثرى وهمة في الثريا، ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا، أغفل المرابطون حله وربطه، حتى دب دبيب الفلق في الغسق، وترك في الدنيا دويا... رأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه، فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه وقال: من كان يتبعني للدنيا فما له عندي الا ما راى، ومن تبعني للاخرة فجزاؤه عند الله تعالى"(٧٦).

كان له شعر منه قوله :

"اخذت بأعضادهم اذ نأوا   وخلّفك القوم اذ ودعوا
فكم انت تنهى ولا تنتهي   وتُسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشّحذ حتى متى   تسن الحديد ولا تقطع"

وكان كثيرا ما ينشد:

تجرد من الدنيا فانك انما   خرجت الى الدنيا وانت مجرد

وكثيرا ما كان يتمثل بقول المتنبي:

اذا غامرت في شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير   كطعم الموت في امر عظيم"(٧٧).

قيام دولة الموحدين:

بعد وفاة المهدي بن تومرت تطلع اصحابه العشرة للخلافة، وكادت تقع الفتنة بينهم، ثم تم الاتفاق على استخلاف عبد المؤمن بن علي سنة (٥٢٤هـ ١١٢٩م) وذلك لمنزلته عند ابن تومرت وقربه منه ووفرة علمه ورجاحة عقله والأهم من ذلك كله هو انه ينتمي الى قبيلة هي من اصغر القبائل التي ينتمي اليها اصحابه العشرة(٧٨)، وأول من بايعه اصحابه العشرة ثم الخمسون ثم باقي الموحدون، وقد اطلق المؤرخون على هذه البيعة بالبيعة الخاصة لان موت المهدي بن تومرت ظل في طي الخفاء حوالي سنتين(٧٩)، والسبب في ذلك يعود - على ما نعتقد - الى ان الدولة لا تزال فتية ولم تثبت اركانها بعد لذلك اخفى زعماء الموحدين خبر موت المهدي طيلة تلك الفترة.

ثم بايع الموحدون عبد المؤمن بن علي البيعة العامة وذلك سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) ، وذلك في جامع تينملل(٨٠)، وكان لا بد ان تستند خلافته الى الاسس الشرعية اللازمة كالنسب القرشي او الاصل العربي لذلك اختلق لنفسه نسبا عربيا(٨١)، كما فعل شيخه ابن تومرت من قبل، وكان يقول اذا ذكرت قبيلته كومية: "لست منهم، وانما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم وهم الاخوال"(٨٢).

كان عبد المؤمن فصيح اللسان عالما بالجدل وعلم الاصول حافظا للحديث متقنا لعلوم النحو واللغة والقرآءات عالما بالتاريخ والسير، وقد اختار كتّابه وقضاته ووزراءه من كبار علماء عصره، وكان يؤثر اهل العلم ويجل العلماء ويقربهم ويحسن اليهم، وكان يحث طلبة العلم على التمعن في دراسة عقائد المهدي بن تومرت(٨٣).

وبعد استخلافه اقام عبد المؤمن في تينملل يتألف القلوب ويحسن الى الناس، ويجمع حوله الاتباع والمؤيدين الى سنة (٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) ثم جهز الجيوش وقادها بنفسه وسار لفتح البلاد واخضاعها بالقوة والاستحواذ على ممتلكات المرابطين(٨٤).

وفي سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) ولى علي بن يوسف العهد ابنه تاشفين وارسله مع جيش المرابطين للتصدي لجيش الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي، واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين ولم تكن هناك مواجهة حاسمة، وظل الحال كذلك الى سنة (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) ، إذ توفي امير المسلمين علي بن يوسف وتولى الملك بعده ابنه تاشفين، فرفع ذلك من معنويات عبد المؤمن واصحابه(٨٥)، وقوى عزيمته وزاد من حرصه على اسقاط دولة المرابطين.

وظل الطرفان يقابل احدهما الآخر ولم تحصل بينهما الا مناوشات خفيفة الى سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) اذ توجه تاشفين بن علي مع ثلة من اصحابه في السابع عشر من رمضان الى مدينة وهران وكان فيها منطقة مرتفعة مطلة على البحر يجتمع فيها المتعبدون، وهو موضع معظم عندهم فقصد التبرك بهذا المكان مع جماعة من الصالحين، فوصل الخبر

الى الموحدين فقاد عمر بن يحيى الهنتاتي جيشا وحاصر المكان، فهرب تاشفين واصحابه وقفز بفرسه من مكان مرتفع فسقط على الحجارة فمات وقتل كل من كان معه(٨٦).

بعد مقتل تاشفين بايع المرابطون اخاه اسحق وكان صبيا، وفي الوقت نفسه كانت الساحة قد خلت لعبد المؤمن فسار بجيوشه الجرارة يفتح البلاد ويخضع العباد لحكمه، ولم يبق امامه سوى مدينة مراكش عاصمة المرابطين، فسار اليها بجيوشه وضرب عليها الحصار، وذلك سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) واستمر الحصار عليها مدة طويلة من الزمن تقرب من السنة، واخيرا تمكن من فتحها عنوة ودخلها بقوة السلاح واستباحها وقتل الكثير من اهلها، ثم القى القبض على الامير اسحق بن علي وجمع امراء دولته فقتلوا جميعا، بما فيهم الامير اسحق بن علي وهو آخر ملوك المرابطين، وكان ذلك سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)(٨٧)، وبهذا فقد اسدل الستار على دولة المرابطين في بلاد المغرب ولم يعد لها وجود، وكان عبد المؤمن بن علي قد حقق كل ما كان يتمناه شيخه ابن تومرت، ولكن بعد مرور حوالي ثماني عشر سنة على موت الاخير.

وعلى الرغم من كل الانجازات التي حققها محمد بن تومرت فقد اختلف مؤرخو المشارقة في الحكم على بعض ما جاء به ابن تومرت او عزي اليه مما يسمونه بالخوارق، ونسبه كثير منهم الى الدجل والشعبذة ، وتعقبوا دعاوى انصاره وما ينسبون اليه من ذلك بالتفنيد والابطال، محاولين رد كل شيء منه الى اسباب طبيعية زعموها تهوينا لشأنه، ولم يحاول احد منهم انصافه او الدفاع عنه او الاشادة بعمله، وذلك –فيما نظن- لان المغرب الاسلامي لم يكن يعترف بشيء من الولاء للخليفة العباسي في بغداد ولم يدع له على منابرها، وكذلك فقد لقب الموحدون اميرهم بـ"امير المؤمنين" وهو لقب الخليفة في بغداد، فما احرى هذا ان يحمل مؤرخي المشارقة على النظر بارتياب الى ابن تومرت واصحابه، وان يعتبروهم طلاب ملك يخلعون في سبيله طاعة الخليفة، ومن ثمة كان رأي مؤرخيهم في شيخ الموحدين(٨٨).

على ان الاراء مهما اختلفت في شان محمد بن تومرت، فمما لا شك فيه انه رجل من اهل الايمان والفطنة، كان له راي في سياسة الدولة الاسلامية، يستند الى اساس من الدين، فاتخذ اسبابه لتنفيذ رايه والوصول الى هدفه، وقد بلغ بايمانه وفطنته وقوة عزمه كثيرا مما اراد(٨٩).

والواقع انه ما كان لوجه الله يبقى وما كان لغير وجه الله يفنى، فقد بقى من دعوة ابن تومرت التصور النقي للاسلام بين البربر الذين كادت تنحرف بهم دعاوى المارقين، وظل المغرب على حاله الى يومنا هذا كما خلفته دعوة ابن تومرت في التوحيد والتنزيه، اما دعاوى عصمته ومهديته فقد تداعت منذ عصر الخليفة الموحدي الثالث، كما تهاوت محاولته لتعديل

مذهب الامام مالك التي كان باعثها الخصومة اللدودة لفقهاء المالكية والمرابطين، اذ عادت المالكية كما كانت منذ عهد الخليفة الثامن لدولة الموحدين(٩٠).

الهومش:

([١]) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، ط٣ (بيروت،١٩٩٤م)٣٥٤/١٥.

([٢]) ابن منظور: لسان العرب: ٣٥٥/١٥.

([٣]) الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٩٨٧) ٤٣٨/٤، رقم الحديث ٢٢٣١.

([٤]) ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية (د.م، د.ت) ١٣٦٧/٢، رقم الحديث ٤٠٨٤.

([٥]) جولد تسهير، اجناس: العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتاب المصري، ط١ (القاهرة، ١٩٤٦) ص١٩٥.

([٦]) البستوي، عبد العليم عبد العظيم: الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة، المكتبة المكية (مكة المكرمة) دار ابن حزم (بيروت) ط١ (١٩٩٩) ص٨٣.

([٧]) ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٠) ٥٣/٥؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة، د.ت) ٢٥٤/٥.

([٨]) ابن الاثير، عز الدين على بن محمد: الكامل في التاريخ، دار صادر ، دار بيروت (بيروت، ١٩٦٠) ٥٦٩/١٠؛ المراكشي، عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تصحيح وتعليق: محمد سعيد العريان وآخر، مطبعة الاستقامة، ط١ (القاهرة، ١٩٤٩) ض١٨٧. النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الاهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٨٣) ٢٤/ ٢٧٧.

([٩]) حسن، سعد محمد: المهدية في الاسلام منذ اقدم العصور حتى اليوم، دار الكتاب العربي،ط١ (مصر، ١٩٥٣) ص١٨٧ـ١٨٨.

([١٠]) ابن الاثير: الكامل، ٥٦٩/١٠؛ ابن ابي زرع، علي بن عبد الله الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط، ١٩٧٢) ص١٧٢؛ القلقشندي، احمد بن علي: صبح الاعشا في صناعة الانشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٩٨٧)١٣١/٥ ؛ مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار ابي رقراق، ط١ (الرباط، ٢٠٠٥) ص٢٠٧؛ حركات، ابراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار السلمي، ط١ (الرباط، ١٩٦٥) ٢٦٠/١.

([١١]) السمعاني ، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور : الانساب ، تقديم : عبدالله عمر البارودي ، دار الجنان ، ط١ (بيروت ، ١٩٨٨) ٣١٥/٥ ؛ ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد: جمهرة انساب العرب، مراجعة: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت،١٩٨٣) ٤٩٥/٢.

(١٢) ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار المسيرة، ط٢ (بيروت، ١٩٧٩) ٤/٧٠؛ حسن: المهدية: ص١٨٧.

(١٣) ابن ابي زرع: الانيس المطرب ص١٨١.

(١٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، مؤسسة جمال (بيروت،١٩٧٩) ٢٢٦/٦.

(١٥) ابن الاثير: الكامل ٥٦٩/١٠؛ القلقشندي: صبح الاعشا ١٣١/٥-١٣٢، ١٣٦؛حسن: المهدية ص١٨٨-١٨٩؛ ابو رميلة، هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس، دار الفرقان، ط١ (عمان،١٩٨٤) ص٣١.

(١٦) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٢٢٦/٦؛ القلقشندي: صبح الاعشا ١٣١/٥-١٣٢.

(١٧) ابن الاثير: الكامل ٥٦٩/١٠؛ حسن: المهدية ص١٩٠؛ صبحي، احمد محمود: في علم الكلام دراسة فلسفية لاراء الفرق الاسلامية في اصول الدين _الاشاعرة، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط٤ (الاسكندرية، ١٩٨٢) ص١٧٦.

(١٨) صبحي: في علم الكلام ص١٧٦.

(١٩) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٢٢٦/٦.

(٢٠) ابو رميلة: علاقات ص٣١-٣٢؛ العبادي، احمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، ١٩٨٢) ص١٠٦.

(٢١) تاريخ ابن خلدون ٢٦٦/٦.

(٢٢) الركوة: اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء والجمع ركاء. ينظر: ابن الاثير، مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي واخر، المكتبة العلمية (بيروت، د .ت) ٢٦١/٢.

(٢٣) ابن الاثير: الكامل ٥٧٠/١٠؛ ابن ابي زرع: الانيس المطرب ص١٧٣؛ النويري: نهاية الارب ٢٧٧/٢٤-٢٧٨؛ ابو رميلة: علاقات ص٣٢-٣٣.

(٢٤) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله: اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت،٢٠٠٣) ٤٠٠/٢؛ الزركلي، خير الدين: الاعلام، ط٣ (د.م، د.ت) ٣١٩/٤؛ حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط٧ (القاهرة، ١٩٦٧) ٢١٩/٤.

(٢٥) ابن الاثير: الكامل ٥٧٠/١٠؛ النويري: نهاية الارب ٢٧٨/٢٤-٢٧٩؛ الناصري، ابو العباس احمد بن خالد: الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري وآخر، دار الكتاب (الدار البيضاء، ١٩٥٤) ٨١/٢.

(٢٦) ابن الاثير: الكامل ٥٧٠/١٠؛ ابو رميلة: علاقات ص٣٣-٣٤.

(٢٧) ابن الاثير: الكامل ١٠ ٥٧٠-٥٧١؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، ط٢ (بيروت،د.ت)٧٣/٤؛ حسن: المهدية ص١٩١.

(٢٨) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٢٢٧/٦-٢٢٨؛ ابو رميلة: علاقات ص٣٦.

(٢٩) المعجب ص١٢٣.

(٣٠) صبحي: في علم الكلام ص١٧٢.

(٣١) صبحي: في علم الكلام ص١٧٣؛ العبادي: دراسات ص١٠٦-١٠٧.

(٣٢) ابن الاثير: الكامل ٥٧١/١٠؛ المراكشي: المعجب ص١٨٧، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد: العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، وزارة الارشاد والانباء (الكويت، ١٩٦٣م) ٦٠/٤-٦١؛ جوليان، شارل اندري: تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي واخر، الدار التونسية (تونس، ١٩٨٥م) ١٣٠/٢.

(٣٣) ابن الاثير: الكامل١٠/٥٩٦ ؛ المراكشي: المعجب ص١٨٧ ؛ السبكي: طبقات ٧٤/٤.

(٣٤) العبر٥٨/٤.

(٣٥) الونشريسي: نسبة الى (ونشريس) بليدة بافريقية من اعمال بجاية بين باجة وقسنطينة المغرب. ينظر: المراكشي: المعجب ص١٨١ هامش (٣). وقد ذكرها ياقوت الحموي بلفظة وانشريش بقوله : جبل بين مليانة وتلمسان من نواحي المغرب ينسب اليه محمد بن عبد الله الوانشريشي الذي اعان محمد بن تومرت على امره. ينظر: معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي (بيروت، ١٩٩٦) ٤٤١/٨.

(٣٦) ابن ابي زرع: الانيس المطرب ص١٧٦؛ القلقشندي: صبح الاعشا ١٣٢/٥؛ الناصري: الاستقصا ٩٢/٢.

(٣٧) المراكشي: المعجب ص١٨٨.

(٣٨) القلقشندي: صبح الاعشا ١٣٢/٥؛ الناصري: الاستقصا ٨٦/٢.

(٣٩) المراكشي: المعجب ص١٨٨ هامش (١) .

(٤٠) تين ملل: وقد تكتب تينملل او تينمل او تانمللت، وهي كلمة بربرية مؤلفة من مقطعين: تين بمعنى ذات وايمل بمعنى الحواجز (الصرايم) التي توضع في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقي، وهو الجبل الذي كان مهد لدولة الموحدين اول الامر، وهو من امنع الحصون بسبب وعورة مسالكه الامر الذي يجعل الوصول اليه من اصعب المحاولات. ينظر: ابن ابي صاحب الصلاة: عبد الملك بن محمد بن احمد الباجي: تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين: تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٩) ص٢١٢ هامش (١)؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٧٣/٢.

(٤١) ابن الاثير: الكامل ٥٧٢/١٠.

(٤٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٥٠/٥-٥١؛ السبكي: طبقات الشافعية ٧٢/٤-٧٣.

(٤٣) ابن الاثير: الكامل ٥٧٣/١٠؛ النويري: نهاية الارب ٢٨٢/٢٤-٢٨٣؛ الناصري: الاستقصا ٨٧/٢.

(٤٤) الكامل ٥٧٣/١٠-٥٧٤.

(٤٥) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٥٢/٥.

(٤٦) ابن الاثير: الكامل ٥٧٤/١٠-٥٧٥؛ النويري: نهاية الارب ٢٨٣/٢٤-٢٨٥؛ الناصري:الاستقصا ٨٨/٢.

(٤٧) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٥٣/٥.

(٤٨) المعجب ص١٩١.

(49) ابن الاثير: الكامل10/571-572؛ أمين، احمد : المهدي والمهدوية ، دار المعارف (مصر ، 1951) ص36.

(50) حركات: المغرب عبر التاريخ1/266؛حسن: المهدية ص190.

(51) حركات: المغرب عبر التاريخ1/264؛ صبحي: في علم الكلام ص169.

(52) الغناي، مراجع عقيلة: العلاقات بين بني زيري والفاطميين وآثارها في تاريخ ليبيا، اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب (طرابلس،1968)ص12.

(53) المراكشي: المعجب ص 184، 188 ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون 6/226؛ الناصري: الاستقصا 2/78.

(54) المراكشي: المعجب ص188؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 4/72؛ حركات: المغرب عبر التاريخ 1/263 .

(55) هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ولد بقرطبة سنة (384هـ/994م) كان حافظا عالما بعلوم الحديث والفقه وبعد ان كان على المذهب الشافعي انتقل الى مذهب اهل الظاهر، وكان اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، وزر للمنصور محمد ابن ابي عامر، من اشهر مؤلفاته "الإحكام لاصول الأحكام" وكتاب " الفصل في الملل والاهواء والنحل" ينظر: ابن حزم الظاهري، ابو محمد علي بن احمد: الفصل في الملل والاهواء والنحل، دار المعرفة، ط2(بيروت، 1975) 1/1؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان 3/325-326.

(56) العبادي: دراسات ص108-109؛ صبحي: في علم الكلام ص176 هامش (2).

(57) العبادي: دراسات ص110.

(58) حركات: المغرب عبر التاريخ 1/263.

(59) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون 6/226؛ الناصري: الاستقصا 2/80؛ ابو رميلة: علاقات ص36.

(60) ابو رميلة: علاقات ص36-38.

(61) المراكشي: المعجب ص188؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون 6/226؛ حسن: المهدية ص195.

(62) ابو رميلة: علاقات ص 36-37؛ العبادي: دراسات ص109-110.

(63) حسن: المهدية ص195.

(64) ابو رميلة: علاقات ص5.

(65) ابن الاثير: الكامل 10/576؛ المراكشي: المعجب ص188؛ النويري: نهاية الارب 24/287.

(66) ابو رميلة: علاقات ص38.

(67) ابو رميلة: علاقات ص38.

(68) ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تعليق: احسان عباس، دار الثقافة (بيروت،1967)4/85.

(69) ابو رميلة: علاقات ص88-89.

(70) ابن الاثير: الكامل 10/ 576.

(71) ابن الاثير: الكامل 10/ 576-577؛ ابن عذاري: البيان المغرب 4/75-76؛ النويري: نهاية الارب 24/287-288.

(72) ابن الاثير: الكامل 10/577-578؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان 5/53؛ الناصري: الاستقصا2/89.

(٧٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٥٣/٥؛ ابن ابي زرع: الانيس المطرب ص١٨١؛ ابن عذاري: البيان المغرب ٨٤/٤.

(٧٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٥٥/٥؛ حركات: المغرب عبر التاريخ٢٦٤/١؛ حسن: المهدية ١٩٥.

(٧٥) الانيس المطرب ص١٨١.

(٧٦) وفيات الاعيان ٥/ ٥٣-٥٤.

(٧٧) ابن خلكان: وفيات الاعيان ٥٤/٥؛ وتنظر الابيات في : شرح ديوان المتنبي ، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت) ٤/ ٢٤٥.

(٧٨) حسن: تاريخ ٢٢٠/٤.

(٧٩) ابن عذاري: البيان المغرب ٨٤/٤؛ حسن: تاريخ ٢١٩/٤-٢٢٠.

(٨٠) حسن: تاريخ ٢١٩/٤-٢٢٠.

(٨١) ينظر: ابن الاثير: الكامل ٥٧٠/١٠؛ النويري: نهاية الارب ٢٤/ ٢٧٨؛ الناصري: الاستقصا ٨١/٢؛ مؤلف مجهول: مفاخر البربر ص ١٩٩ .

(٨٢) المراكشي: المعجب ص١٩٧؛ العبادي: دراسات ص١١٠-١١١.

(٨٣) حسن: تاريخ ٤/ ٢٢١-٢٢٢.

(٨٤) ابن الاثير: الكامل ٥٧٨/١٠؛ النويري: نهاية الارب ٢٨٩/٢٤.

(٨٥) ابن الاثير: الكامل ١٠/ ٥٧٨-٥٧٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٢٣٠/٦.

(٨٦) ابن الاثير: الكامل ١٠/ ٥٧٩-٥٨٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب ١٠٤/٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٢٣١/٦.

(٨٧) ابن الاثير: الكامل ٥٨٣/١٠-٥٨٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب ١٠٨/٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٢٣٢/٦.

(٨٨) المراكشي: المعجب ص١٨٨-١٨٩ هامش (٢) .

(٨٩) المراكشي: المعجب ص١٨٩ هامش (٢) .

(٩٠) صبحي: في علم الكلام ص١٧٩.